

بسم الله الرحمن الرحيم



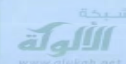
قصص إسلاميّة للأطفال

الشّهيد

تأليف

محمد منير الجنباز

مكتبة
التوبة



ح مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنباز، محمد منير

الشهيد.ـ الرياض

٣٦ص، ١٧×٢٤سم.ـ (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٣ - ٤٨ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال أ - العنوان

ب - السلسلة

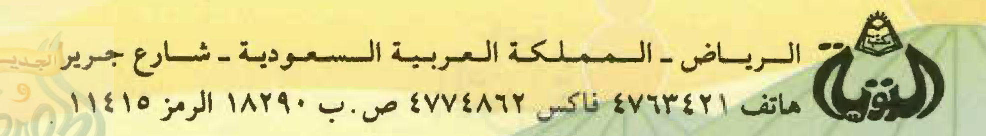
ديوي ٨١٣،٠٨٨ ٢٠/٣٨١٩

رقم الإيداع: ٢٠/٣٨١٩

ردمك: ٣ - ٤٨ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

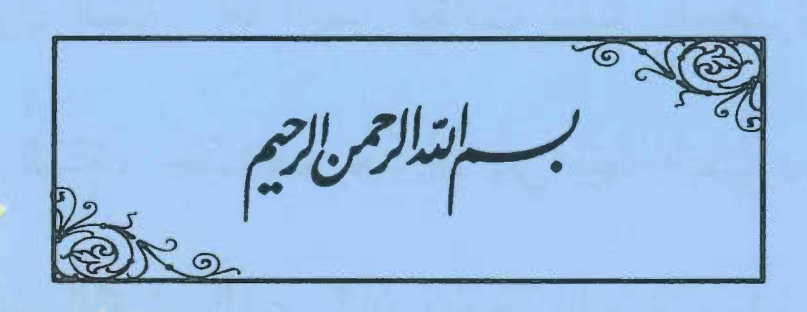
طبعة جديدة منقحة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م


الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥





طُفُوْلَةُ عَبْدِالله:

عَبْدُاللهِ طَفْلٌ ذَكِيٌّ وَنَشِيْطٌ، وُلِدَ في بِلادِ اليَمَنِ السَّعِيدِ، وَتَرَعْرَعَ في رُبُوْعِهَا الجَمِيْلَةِ، تِلْكَ البِلادُ الّتي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْها بِالْخُضْرَةِ وَالبَسَاتِيْنِ المُزْهِرَةِ الغَنَّاءِ، فَتَمَيَّزت بِذَلِكَ عَنْ بَاقي أَقْطَارِ الجَزيرةِ العَرَبِيّةِ، الّتي غَطَّتْهَا الصّحَارَى الوَاسِعَةُ الكَبِيرَةُ، وَلَمْ تَعرِفِ الخُضْرَةَ وَالنُّضرَةَ إلاّ فِي بَعْضِ



فُصُوْلِ السَّنَةِ. أَمَّا اليَمَنُ فكانَتْ تَنْعَمُ بِالخُضْرَةِ كُلَّ
أَيّامِ السَّنَةِ، خُصُوْصاً بَعْدَ أَنْ بَنَى فِيْها اليَمَنِيُّونَ سَدَّ
مَأْرِبَ الكَبِيْرَ الّذي كانَ يَحْجُزُ المِيَاهَ وَرَاءَهُ بَعْدَ
هُطُولِ الأَمْطَارِ المَوْسِمِيَّةِ، وَفي أَيّام الجَفَافِ، تُفْتَحُ
نَوَافِذُ السّدِ، فَتَجْرِي المِيَاهُ لِتَسْقِيَ البَسَاتِيْنَ وَالجِنَانَ
عَنْ يَمينِ وَشِمَالِ، وَقَدْ نَعِمَ سُكَّانُ اليَمَنِ بأَطْيَبِ
الفَوَاكِهِ وَأَشْهَى الثّمارِ، فَكَانُوا لاَ يَشْتَكُوْنَ نَقْصاً مِنْ
زِرَاعَةٍ أَوْ مِياهٍ، لَقَدْ وَهَبَهُمُ اللهُ كُلَّ وَسَائِلِ العَيْشِ
الرَّغِيْدِ، وَقَد ذَكَرَ اللهُ تَعَالى نِعَمَهُ عَلَى أَهْلِ اليَمَنِ
في القُرْآنِ الكَرِيْمِ، فَقَالَ:



﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ
عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ
بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ١٥﴾.

وَعَاشَ عَبْدُاللهِ يَشْهَدُ تِلْكَ الحَيَاةَ الجَمِيْلَةَ فِي رِعَايَةِ أَبَوَيْنِ عَطُوْفَيْنِ كَرِيْمَيْنِ، وَهُوَ مُدَلَّلٌ وَمُنَعَّمٌ يَرْفُلُ بِالخَيْرَاتِ وَالمَحَبَّةِ وَكَبِيرِ العِنَايَةِ.

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ، زَارَ بَيْتَ عَبْدِاللهِ رَجُلٌ كَبِيْرٌ يَظْهَرُ عَلَيْهِ سِيْمَا الوَقَارِ وَالتَّقْوَى، وَمَكَثَ فِي ضِيَافَةِ أَبِي عَبْدِاللهِ عِدَّةَ أَيَّامٍ، عَرَفَ مِنْ خِلَالِ هذِهِ الزِّيَارَةِ، الطِفْلَ عَبْدَاللهِ، وَرَأَى فِي

عَيْنَيْهِ الذَّكَاءَ وَالنُّبوغَ، وفي أَفْعَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ مَا يُؤَكِّدُ ذَلِك.

إِنَّهُ وَلَدٌ ذَكِيٌّ ونَشِيطٌ، يَتَصَرَّفُ في البَيْتِ تَصَرُّفَ النَّابِهِيْنَ الكِبَارِ، وَهُنَا أَشَارَ الرَّجُلُ الكَبِيْرُ عَلَى وَالِدِ عَبْدِاللهِ، أَنْ يَنْتَقِيَ لَهُ عَمَلاً مُناسِباً لِذَكَائِهِ وَنُبُوغِهِ، وَأَنْ لاَ يُعَلِّمَهُ حِرْفَتَهُ الشَّاقَّةَ، فَقَدْ كَانَ وَالِدُ عَبْدِاللهِ يَعْمَلُ حَدَّاداً لِصُنْعِ أَجْوَدِ السُّيُوفِ اليَمَنِيَّةِ وَأَحْسَنِهَا.

وَحَارَ أَبُو عَبْدِاللهِ في انْتِقَاءِ عَمَلٍ جَيِّدٍ لابْنِهِ لِكَيْ يَرَى فيهِ نُبُوْغَهُ وَذَكَاءَهُ، وَفَكَّرَ أَخِيْراً في

أَخْذِهِ لِسَاحِرِ المَلِكِ، لِيَتَعَلَّمَ السِّحْرَ، إِذْ كَانَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ يَصْنَعُونَ بِالسِّحْرِ الأَعَاجِيْبَ. وَالسِّحْرُ لاَ يُتْقِنُهُ إِلاّ الأَذْكِيَاءُ، وَهُوَ يَدُرُّ عَلَى السَّاحِرِ المَالَ الكَثِيْرَ، لأَنَّهُ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ الحِيَلَ وَالعَجَائِبَ الخَارِقَةَ، فَيُغْدِقُونَ عَلَيْهِ المَالَ.

عَبْدُاللهِ فِي قَصْرِ المَلِكِ:

وَانْطَلَقَ وَالِدُ عَبْدِاللهِ إِلى قَصْرِ المَلِكِ، وَمَعَهُ وَلَدُهُ عَبْدُاللهِ، وَتَوَسَّطَ لَهُ لِكَيْ يُعَلِّمَهُ السِّحْرَ على يَدِ سَاحِرِ المَلِكِ، فَدَخل حَتَّى كَلَّمَ مُسْتَشَارَ المَلِكِ، وَأَقْنَعَهُ بِضَرُوْرَةِ تَعْلِيمِ السِّحْرِ

لِعَبْدِاللهِ، وَخَلاَ المُسْتَشَارُ بِالمَلِكِ، وَكَلَّمَهُ بِشَأنِ عَبْدِاللهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا مَوْلاَيَ إِنَّ سَاحِرَكَ قَدْ كَبِرَ وَرُبَّما مَاتَ فَجْأَةً، فَأَنْتَ بِحَاجَةٍ إِلى مَنْ يَخْلُفُهُ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ بِوَلَدٍ ذَكِيٍّ، أَرَاهُ خَيْرَ مَنْ يَخْلُفُهُ في هَذا العَمَلِ، وَإِذَا تَرَبّى هَذَا الوَلَدُ عَلَى يَدَيْكَ فَسَيُصْبِحُ خَادِمَكَ الأَمِينَ، فَتَلَمَّسَ المَلِكُ شَارِبَيْهِ الطَّوِيلَيْنِ، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ مُوَافِقاً عَلَى رَأْيِ مُسْتَشَارِهِ بِقَبُولِ عَبْدِاللهِ. وَدَاوَمَ عَبْدُاللهِ عَلَى قَصْرِ المَلِكِ لِلتَّعَلُّمِ، وَلَكِنَّهُ رَأَى عَجَباً، رَأَى مَا لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُ بِهِ مِنْ قَبْلُ، مِنْ أَبِيْهِ أَوْ أُمِّهِ، إِنَّه

رَأَى الخَدَمَ وَكِبَارَ المُوَظَّفِيْنَ يَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ وَيُعَظِّمُوْنَهُ، فَالمَلِكُ كَانَ يَدَّعِي الأُلُوهِيَّةَ، وَيَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ كُلَّمَا مَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ زِيَارَتَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَرْكَعَ لَهُ مِنَ البَابِ وَهُوَ مُطَأْطِئٌ رَأْسَهُ، فَإِذَا مَا وَصَلَ أَمَامَهُ خَرَّ سَاجِداً لَهُ، وَالَّذي يَأْبَى ذَلِك يَكُوْنُ مَصِيْرَهُ القَتْلُ أَوِ السّجْنُ. وَكَانَ المَلِكُ يَخْدَعُ النَّاسَ بِأَنَّهُ قَادِرٌ وَعَظِيمٌ، وَأَنَّه مِنْ سُلاَلَةِ الآلِهَةِ، وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ اسْتِعَانَتِهِ بِالسّاحِرِ الَّذي يَسْحَرُ أَعْيُنَ النّاسِ، وَيَخْدَعُهَا لِكَيْ تَرَى بَعْضَ الخَوَارِقَ

والحِيَلِ الّتي يَدَّعِي المَلِكُ أنَّها مِنْ صُنْعِهِ وَقُدْرَتِهِ، ليَقُوْلَ النَّاسُ: إنَّ المَلِكَ فَوْقَ البَشَرِ، وَهُوَ يَصْنَعُ مَا لَمْ يَصْنَعْهُ البَشَرُ، إنَّهُ قَادِرٌ عَظِيمٌ يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ..!

وَكَانَ أَهْلُ اليَمَنِ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ لِحِيَلِ المَلِكِ وَمُنْكِرٍ لَهَا، فَصِغَارُ العُقُوْلِ آمَنُوا بِالمَلِكِ، وَقَدَّمُوا لَهُ العِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ كما يُحِبُّ وَيَرْغَبُ، وَأَهْلُ العِلْمِ أنْكرُوا عَلَى المَلِكِ هَذَا الادّعَاءَ، وَدَعُوا بَيْنَ النَّاسِ إلَى تَكْذِيبِه، لَكِنَّهُمْ اعْتَصَمُوا في الكُهُوفِ وَالجِبَالِ البَعِيْدَةِ خَوْفاً مِنْ نِقْمَةِ

المَلِكِ وَجبَرُوتِهِ، وَهُنَاكَ وَجَدُوا في خَلَواتِهِمْ مَكَاناً صَالِحاً للعِبَادَةِ، يَعْبُدونَ اللهَ الواحِدَ بَعِيْداً عَنْ سُلْطَةِ المَلِكِ وَجَواسِيْسِهِ.

عَبْدُالله يَتَلَقَّى دُرُوساً في السِّحْر:

وَحَضَرَ عَبْدُ اللهِ إِلى قَصْرِ المَلِكِ، وَأَخَذَ السَّاحِرُ يُعْطِيْهِ دُرُوساً في السّحرِ، فَكانَ يَأْتي في الصّباحِ البَاكِرِ، وَلاَ يَعُوْدُ إلى بَيْتِهِ إلاّ قَبْلَ الغُروْبِ، وَفي أَحَدِ الأَيَّامِ مَلَّ عَبْدُالله مِنْ هذا الدَّوامِ الطَّويلِ، وَمِنَ الدُّروسِ الّتي لَمْ تَكُنْ تُوَافِقُ رَغْبَةً وَانْشِرَاحاً في صَدْرِهِ، لِذَلِكَ ضَاقَتْ

بِـهِ سَـاحَـاتُ الـقَـصْـرِ وَصَـالاَتُـهُ رَغْـمَ اتّـسَـاعِـهَـا وَرَحَـابَـتِـهَـا، وَقَـرَّرَ أَنْ يَـخْـرُجَ لِـلـبَـرِّ بَـعِـيْـداً عَـنِ العُـمْـرَانِ، عَلَّ صَـدْرَهُ يَنْشَرِحُ فَيَزُوْلُ عَنْهُ الكَدَرُ، إِنَّهُ يَنْظُرُ إلى الجِبَالِ المُحِيطَةِ بِبَلْدَتِهِ، فَيَظُنُّها جَـاثِـمَـةً فَـوْقَ صَـدْرِهِ، وَانْـطَـلَـقَ نَـحْـو الـمُـروجِ والتِّلاَلِ، يَرْكُضُ وَيقْفِزُ كَأَنَّهُ غَزَالٌ شَارِدٌ قَدْ فُكَّ قَيْدُهُ، وَتَـاقَـتْ نَـفْـسُـهُ لِـلانْـطِـلاَقِ لاَ يُـبَـالِـي كَـمْ رَكَضَ، وَكَمْ قَطَعَ مِنْ مَسَافَاتٍ، المُهِمُّ عِنْدَهُ أَنْ يَرْكُضَ وَيَقْفِزَ، يَصْعَدُ التِّلاَلَ وَيَهْبِطُ الأَوْدِيَةَ، حَتّى قَادَتْهُ قَدَمَاهُ إِلى كَهْفٍ كَبِيْرٍ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ

بِخُطاً حَذِرَةٍ إلى أَنْ وَصَلَ إلى أَوَّلِ فَتْحَتِهِ، فَمَدَّ رَأْسَهُ قَلِيْلاً ثُمَّ أَرْهَفَ حِسَّهُ وَكَتَمَ نَفَسَهُ، فَسَمِعَ دَمْدَمَةً عَمِيقَةً تَخْرُجُ مِنْ أَعْمَاقِ الكَهْفِ، فَاقْتَرَبَ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ وَالدَّمْدَمَةُ تُسْمَعُ أَكثَرَ، حَتَّى وَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ قَرِيْباً مِنْ مَصْدَرِ الصَّوتِ، فَنَظَرَ فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ هَرِمٌ جَالِسٌ عَلَى رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدٍ، وَقَدِ اسْتَطَالَ شَعْرُهُ الأَشْعَثُ حَتّى كَادَ أَنْ يَغْمُرَ عَيْنَيْهِ وَفَمَهُ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ خَائِفاً يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ سِرَّ هذا الرَّجُلِ وَطَرِيقَةَ عَيْشِهِ، وَهَلْ هُوَ مِثْلُ بَقِيَّةِ النّاسِ أَمْ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ يُشْبِهُ البَشَرَ..؟ وَسَلَّمَ بِصَوْتٍ

مُرْتَعِدٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ السَّلاَمَ بِبَشَاشَةٍ وَلُطْفٍ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: أَلاَ يُوْجَدُ لَكَ مسكَنٌ في المدِينَةِ تَسْكُنُهُ بَدَلَ هَذا الكَهْفِ؟ قالَ الشَّيخ: أَرَدْتُ العُزْلَةَ لِوَحْدِي هُنَا بَعِيداً عَنِ النّاسِ. قالَ عَبْدُاللهِ: وَمَنْ يُضَايِقُكَ مِنَ النَّاسِ؟ فَسَكَتَ الشّيخُ ولَمْ يُجِبْ، فَأَلَحَّ عَبْدُاللهِ عَلَيْهِ بِالسُّؤالِ، إِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَعرِفَ سِرَّ هَذَا الشَّيخ.

قَالَ الشَّيْخُ: لاَ أُخبِرُكَ بِحَقِيْقَةِ أَمْرِي حَتَّى تَعِدَنِي بَكِتْمَانِ مَا أُخْبِرُكَ بِهِ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: أَعِدُكَ بِذَلِك.

قَالَ الشَّيْخُ: يا بُنَيّ إِنَّ مَلِكَ البِلاَدِ طَاغِيَةٌ جَبّارٌ يَدَّعِي الأُلُوهِيَّةَ، وَيَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَمَا هُو إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا خَلَقَنَا اللهُ وَإِيَّاهُ، فَالعِبَادَةُ لاَ تَكُونُ إِلاّ لِلخَالِقِ مِنَ المَخْلُوقِينَ، لِذَلِك أَنْكَرْتُ دَعْوى المَلِكِ، وَهَجَرْتُ مَسْكَنِي وَأَتَيْتُ إِلى هذا المَكَانِ المُنْقَطِعِ أَتَعَبَّدُ خَالِقي بَعِيْداً عَنْ رَقَابَةِ المَلِكِ.

وَتَهَلَّلَ وَجْهُ عَبْدِالله مِمَّا سَمِعَ مِنْ هَذا الشَّيخِ الوَقُورِ، إِنَّ كَلاَمَهُ جَمِيْلٌ يَدْخُلُ في القَلْبِ، وَنَبَراتُ الشَّيخِ صَادِقةٌ، يَدُلُّ عَلى ذَلِك

أنَّه ضَحَّى بِكُلِّ شَيءٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ الّذي أَحَبَّهُ وَوَقَرَ في قَلْبِهِ، لَقَد تَرَكَ مَسْكَنَهُ وَفِرَاشَهُ وَأَطَايِبَ الطَّعَامِ في البَلْدَةِ، وَهُوَ اليومَ يَعِيشُ هُنَا مُنْقَطِعاً عَنِ النَّاسِ، يَعِيْشُ عِيْشَةً تُشْبِهُ عِيْشَةَ وُحُوشِ الفَلاَةِ، يَقْتَاتُ مِنَ العُشْبِ وَالشَّجَرِ، إِنَّهُ هَجَرَ نَعِيْمَ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَبْقَى لَهُ دِيْنُهُ وإِيْمَانُهُ، مَرّتْ هَذِهِ الخَوَاطِرُ في ذِهْنِ عَبْدِاللهِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلاّ أَنْ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ أَمَامَ الشّيخِ، وَقَالَ لَهُ: عَلِّمْنِي مِمَّا تَعْلَمُ، فَقَدْ واللهِ أَحْبَبْتُكَ أَيُّها الشّيْخُ الوَقُورُ.



قَالَ الشَّيْخُ: الحَمْدُ للهِ الّذِي هَدَاكَ يَا بُنَيَّ، سَأُعَلِّمُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ مَا أَعْلَمُ، وَلَكِنْ بِشَرْطٍ وَاحِدٍ.

قَالَ عَبْدُالله: اشْتَرِطْ مَا تُرِيدُ فَأَنَا سَامِعٌ وَمُطِيْعٌ.

قَالَ الشَّيْخُ: إِيّاكَ أَنْ تُخْبِرَ أَحَداً بِأَمْرِي، وَلْيَكُنْ ما تَعْلَمُهُ عَنِّي سِرّاً لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَيْكَ أَنْ تَترَدَّدَ عَلَيَّ بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَر حَتّى أُعَلِّمَكَ، فَالْعِلمُ يَحْتَاجُ إلى الصَّبْرِ وَالمُدَاوَمَةِ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: اتَّفَقْنَا، وَانْصَرَفَ مُوَدِّعاً الشَّيْخَ.

عَادَ عَبْدُاللهِ مُسْرِعاً إلى سَاحِرِ المَلِكِ، لَقَدْ تَأَخَّرَ كَثِيراً هَذا اليَومِ، ولَمّا وَصَلَ إلى السَّاحِرِ قَالَ لَهُ السَّاحِرُ: مَا أَخَّرَكَ عَنَّا هَذا اليَومِ؟ فَالغِيَابُ يُضِرُّ بِكَ وَيُؤَخِّرُكَ عَنْ تَعَلُّمِ السّحرِ، وَأَخَذَ دُرُوسَهُ مِنَ السَّاحِرِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلى أَهْلِهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَخْرُجُ كُلَّ يومِ إلى الشَّيْخِ في الصَّباحِ البَاكِرِ، يَتَلَقَّى مِنْهُ عُلُومَ الدّينِ حَتّى وَعَى حَقَائِقَ الإِيمانِ والتَّوْحِيْدِ، فَوَقَرَتْ في صَدْرِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ واحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، خَلَقَ النَّاسَ والمَخْلُوقَاتِ جَميْعاً، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ،

يُحْيِي وَيُمِيْتُ، وَمَا المَلِكُ وَالجُنُودُ إلاّ مَخْلُوقَاتٌ كَغَيْرِهِمْ مِنَ البَشَرِ، لِذَلِكَ بَدَأَ يَكْرَهُ السّاحِرَ والمَلِكَ لِكَذِبِهِمَا، وَخِدَاعِهِمَا للنَّاسِ.

وَفي ذَاتِ يَوْمٍ، بَيْنَما كَانَ عَبْدُاللهِ عَائِداً مِنْ كَهْفِ الشَّيْخِ قَاصِداً قَصْرَ السَّاحِرِ، إِذَا بِهِ يَرَى جَمْهَرَةً مِنَ النّاسِ تَسُدُّ الطَّرِيْقَ، وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِمُ الخَوْفُ وَالقَلَقُ والاضْطِرَابُ، فَاْقتَربَ وَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ هَذا الحَشْدِ مِنَ النَّاسِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هُنَاكَ أَفْعىً كَبِيْرَةً تَقِفُ في عَرْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ فَغَرَتْ فَاهَا لِتَلْتَهِمَ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْهَا، وَالنَّاسُ

كُلُّهُمْ خَائِفُونَ، لاَ يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلى الاقْتِرَابِ مِنْها، وَقَدْ تَعَطَّلَتْ مَصَالِحُ النَّاسِ، وَقَطَعَتِ المُرُوْرَ بَيْنَ شَطْرَيِ المَدِينَةِ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: أَرُوْنِي الأَفْعَى، وَابْتَعَدَ النَّاسُ وَنَظَرَ عَبْدُاللهِ، فَإِذَا دَابَّةٌ مُخِيْفَةٌ قَدِ انْتَصَبَ رَأْسُهَا، وَمَدَّتْ لِسَانَهَا المُتَشَعِّبَ الطَّوِيْلَ، وَجَحَظَتْ بِعَيْنَيْهَا الوَاسِعَتَيْنِ المُحْمَرَّتَيْنِ كَأَنَّهُمَا جَمْرَتَانِ مِنْ نَارٍ، وَبَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ تُخْرِجُ مِنْ فَمِهَا فَحِيْحاً مُخِيْفاً، تُطِيْرُ مِنْ شِدَّتِهِ التُّرَابَ وَالرُّمَالَ.



قَالَ عَبْدُاللهِ: يَا لَلْهَوْلِ! مَاذَا أَفْعَلُ لأُنقِذَ النَّاسَ؟ وَلَمَعَتْ فِي رَأْسِهِ فِكْرَةٌ رَائِعَةٌ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: الآنَ أُجَرِّبُ وَأَعْرِفُ مَنِ الصّادِقُ مِنْهُما. الشَّيخُ أَمِ السَّاحِرُ؟ ثُمَّ حَمَل حَجَراً وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ الشَّيْخُ أَفْضَلَ لي مِنَ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ بِقُدْرَتِكَ هذِهِ الأَفْعَى، وَرَمَاهَا بِالحَجَرِ فَقَتَلَهَا، وَفَرِحَ النَّاسُ بِمَا فَعَلَ عَبْدُاللهِ فَشَكَرُوْهُ، وَهَنَّؤُوْهُ عَلَى شَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَعَبَروا الطَّرِيْقَ فَرِحِيْنَ، فَانْتَشَرَ خَبَرُهُ وَمَا فَعَلَ، وَأَصْبَحَ قِصَّةً تُذَاعُ بَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ عَبْدُاللهِ إِلَى



قَصْرِ المَلِكِ، كَانَ الخَبَرُ قد سَبَقَهُ إلى المَلِكِ، فَسُرَّ المَلِكُ وَفَرِحَ بِمَا صَنَعَهُ عَبْدُاللهِ، وَقَالَ: لَقَدْ تَعَلَّمَ عَبْدُاللهِ السّحرَ وَأَتْقَنَهُ، لِذَلِكَ اسْتَقْبَلَ المَلِكُ عَبْدَاللهِ بِالْبِشْرِ وَالسَّعَادَةِ، وَقَالَ لَهُ: حَقّاً إِنَّكَ وَلَدٌ ذَكِيٌّ، لَقَدْ أَتْقَنْتَ تَعَلُّمَ السِّحْرِ وَتَفَوَّقْتَ بِهِ.

قَالَ عَبْدُاللهِ: كَلاّ أَيُّها المَلِكُ لَمْ أَتَعَلَّم السِّحْرَ، إِنَّما قَتَلْتُ الأَفْعَى بِإِرَادَة اللهِ رَبّي لَمّا دَعَوْتُهُ وتَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ.

قَالَ المَلِكُ: وَهَلْ لَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟



قَالَ عَبْدُاللهِ: نَعَم، رَبِّيَ اللهُ، وَأَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُنَا لاَ فَرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، فَكَيْفَ تَكُونُ رَبّاً وَأَنْتَ مَخْلُوقٌ ضَعِيْفٌ.

غَضِبَ المَلِكُ مِنْ كَلاَمِ عَبْدِاللهِ، وَنَادَى حَرَسَهُ فَأَمْسَكُوْهُ وَقَيَّدُوْهُ، وَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ تَعَلَّمْتَ هَذَا الكلاَمَ؟ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ تَفْكِيْرِكَ، أَخْبِرْنِي مَنْ عَلَّمَكَ هذا الكلام؟ إِنَّهُ مِنْ أَعْدَائي، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟ لَنْ تُتْرَكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي أَوْ أُعَذِّبَكَ عَذَاباً شَدِيْداً، ثُمَّ أَعْطَى الأَمْرَ لِلحُرَّاسِ أَنْ يَجْلِدُوْهُ، وَمَا إِنْ سَمِعَ الحُرَّاسُ أَوَامِرَ المَلِكِ

حَتّى انْهَالُوا عَلَيْهِ ضَرْباً بِالسّياطِ الغَلِيْظَةِ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ جِسْمُ عَبْدِاللهِ لَسْعَ السّياطِ، إِنَّ جِسْمَهُ مَا زَالَ غَضّاً لَمْ تَكْتَمِلْ فِيهِ قُوَّةُ الشَّبَابِ، وَكَذلِكَ فَإِنَّ تَرْبِيَتَهُ عَلَى الرَّفَاهِيَةِ لَهَا تَأْثِيْرٌ أَيْضاً في عَدَمِ تَحَمُّلِهِ التَّعْذِيْبَ، لِذَلِكَ بَاحَ بِالسّرِ وَدَلَّ المَلِكَ عَلَى مَكَانِ الشَّيْخِ، وَانْطَلَقَ الجُنُوْدُ إِلى الكَهْفِ وَهُمْ مُدَجَّجُونَ بِالسّلاَحِ، فَلَمَّا وَصَلُوا الكَهْفَ دَخَلُوْهُ وَهُمْ يُشْرِعُوْنَ الحِرَابَ، حَتَّى احْتَاطُوا الشَّيْخَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَنَظَرَ الشّيخُ وَعَلِمَ أَنَّ عَبْدَاللهِ قَدْ وَشَى بِهِ، فَهَزَّ رَأْسَهُ وَاسْتَسْلَمَ

لِقَضَاءِ اللهِ، ثُمَّ سَارَ مَعَهُمْ مُكَبَّلاً بِالأَغْلاَلِ، حَتّى طَرَحُوْهُ أَرْضاً بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ، وَنَظَرَ المَلِكُ إلى الشَّيْخِ فَعَرَفَهُ، إِنَّهُ مِنَ المُعَارِضِيْنَ لِدَعْوَاهُ، فَقَال لَهُ المَلِكُ سَاخِراً: هَذَا أَنْتَ أَيُّها الجَاحِدُ لِنِعْمَتِيْ! لَقَدْ أَفْسَدْتَ بِخُرُوجِكَ عَنْ طَاعَتِي أَخْلاَقَ الجِيْلِ الصَّاعِدِ مِنَ الشَّبَابِ، وَلَوْ تَرَكْتُكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيْدُ فَسَتُفْسِدُ عَلَيَّ النَّاسَ، هَيَّا أَيُّها الجُنُودُ أَدِّبُوْهُ بِالسّياطِ حَتَّى يُقِرَّ بِأُلُوهِيَّتِي، وَانْهَالَ الجُنُوْدُ عَلَى الشّيخِ المِسْكِيْنِ ضَرْباً بِالسّياطِ، وَالشّيخُ صَامِتٌ إِلاَّ مِنْ تَمْتَمَاتٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ

يُوَحِّدُ الله رَبَّ العَالَمِيْن، ثُمَّ أَوْقَفَ المَلِكُ عَنْهُ ضَرْبَ السِّيَاطِ، وَقَال لَهُ: أَمَا زِلْتَ عَلَى رَأْيِكَ؟ هَزَّ الشّيخُ رَأْسَهُ أَنْ نَعَمْ، فَغَضِبَ المَلِكُ وَرَكَلَ الشّيْخَ بِرِجْلِهِ ثُمَّ قَال لِلحَرَسِ: هَاتُوا المِنْشَارَ وَأنْشُروْهُ نِصْفَيْنِ، فَأَنَا لاَ أُرِيْدُ أَنْ أَرَى رَأْسَهُ المُعَانِدَ سَلِيْماً. وَأَحْضَرَ الجُنُوْدُ المِنْشَارَ وَرَبَطُوا الشّيْخَ مِنْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَشَدُّوا كُلَّ طَرَفٍ إلى عَمُودٍ ثُمَّ نَشَرُوْهُ نِصْفَيْنِ.

تَأَلَّمَ عَبْدُاللهِ لِهذَا المَنْظَر، وَثَارَ عَلَى المَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ طَاغِيَةٌ جَبّارٌ، أَنْتَ عَدُوُّ الشَّعبِ،

فَأَمْسَكَهُ الجُنُودُ وَضَرَبُوهُ ثُمَّ طَرَحُوْهُ أَمَامَ المَلِكِ.

قَالَ المَلِكُ: لَقَدْ رَأَيْتَ ما فَعَلْنَا بِهذَا الشَّيْخِ، وَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ عَنْ أَفْكَارِكَ المُخَالِفَةِ لَنَا فَسَأَصْنَعُ بِكَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ بِهِ، لَكِنَّ عَبْدَاللهِ ظَلَّ بَاقياً عَلَى مَبْدَئِهِ، فَاغْتَاظَ مِنْهُ المَلِكُ وَقَالَ لِجُنْدِهِ: اذْهَبُوا بِهِ وَأَلْقُوهُ مُكَبَّلاً في البَحْرِ.

وَانطَلَقُوا بِهِ نَحْوَ البَحْر، وَأَرْكَبُوهُ زَوْرَقاً وَتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، وَلَمَّا حَمَلُوهُ وَهَمُّوا بِإِلْقَائِهِ، دَعَا رَبَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِيْنَ، فَانْقَلَبَتِ السَّفِينَةُ وَغَرِقَ مَنْ فِيها، وَنَجا عَبْدُاللهِ بِمُفْرَدِهِ، فَرَجَعَ



إِلى المَلِكِ وَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِع عَنْ ظُلْمِكَ وَأَنْ تُؤْمِنَ باللهِ تَعَالى رَبّاً لَكَ، لَقَدْ أَغْرَقَ الله جُنُودَكَ وَأَنْقَذَني مِنَ الغَرَقِ، فَغَضِبَ المَلِكُ الجَبَّارُ ثَانِيَةً وَأَمَرَ بِحَمْلِهِ إِلى أَحَدِ الجِبَالِ المُرْتَفِعَةِ لإِلْقَائِهِ مِنْ فَوْقِهَا، وَحَمَلَهُ الجُنُوْدُ، وَانْطَلَقُوا بِهِ نَحو الجَبَلِ، وَلَمّا وَصَلُوا إِلى قِمَّتِهِ وَهَمُّوا بِإِلقَائِهِ، دَعَا رَبَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ القَوْمِ الكَافِرِيْنَ، فَاهْتَزَّ الجَبَلُ وَسَقَطَ الجُنُودُ مِنْ فَوْقِهِ إلاّ عَبْدَاللهِ فَإِنَّهُ نَجا، ثُمَّ عَادَ إِلى المَلِكِ يَأْمُرُهُ بِتَرْكِ الكُفْرِ وَالتَّوْبَةِ مِمَّا فَعَلَ والعَوْدَةِ إِلى

الإِيمَانِ باللهِ الواحِدِ الأَحَدِ، لَكِنَّ المَلِكَ أَصَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وطُغْيَانِهِ.

كَيْفَ أَقْتُلُهُ؟:

وَحَارَ المَلِكُ وَجُنَّ جُنُوْنُهُ وَهُوَ يَقُوْلُ: أَيُّ شَيْطَانٍ هَذَا الغُلاَمُ! كَيْفَ أَقْتُلُهُ؟ قَالَ لَهُ عَبْدُ الله: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى طَرِيْقَة تَقْتُلُنِي بِهَا؟

أَجَابَ المَلِكُ بِلَهْفَةٍ: وَمَا هِيَ؟

قَالَ عَبْدُاللهِ: تَصْلِبُنِي عَلَى عَمُوْدٍ، ثُمَّ تَحْمِلُ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي، وَترمِيْنِي بِهِ أَمَامَ النّاس وَأَنْتَ تَقُوْلُ: بَاسْمِ اللهِ رَبِّ هَذَا الغُلامِ، عِنْدَ ذَلِك



تَقْتُلُنِي. فَرِحَ المَلِكُ لأَنَّهُ عَرَفَ السِّرَّ، فَجَمَعَ النَّاسَ عَلَى عَجَلٍ، وَجَمَعَ حَوْلَهُ الأَتْبَاعَ وَالأَعْوَانَ، وَقَالَ لَهُمْ: سَتَرَوْنَ قُوَّتِي اليَومَ، وَسَتَرَوْنَ ضَآلَةَ هَذا الغُلامِ أَمَامَ سَطْوَتِي وَجَبَرُوتِي.

وَاحْتَشَدَ آلافُ النَّاسِ لِيَرَوْا المَشْهَدَ العُجَابَ، لَقَدْ رُبِطَ عَبْدُاللهِ، وَشُدَّ وِثَاقُهُ تَمَاماً إلى عَمُودٍ طَويلٍ ضَخْمٍ في سَاحَةٍ وَاسِعَةٍ، وَأَحَاطَ بِهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ جُنُودِ المَلِكِ المُدَجَّجِيْنَ بِالسِّلاَحِ، وَنَصَبَ المَلِكُ تُجَاهَهُ مِنَصَّتَهُ المَلَكِيَّةَ الفَخْمَةَ، وَهِيَ تَزْهُو بِالزِّيْنَاتِ وَالأَعْلاَمِ، وَرَفَعَ نَفْسَهُ عَلَى كُرْسِيٍّ فَخمٍ عَظِيْمٍ،

وَارْتَدَى لِبَاسَ الحَرْبِ وَالمَيْدَانِ وَعَلَّقَ عَلَى رَقَبَتِهِ القَلائِدَ الذَّهَبِيَّةَ، وَرَفَعَ فَوْقَ رَأْسِهِ التَّاجَ المُرَصَّعَ بِأَغْلَى الجَوَاهِرِ.

ثُمَّ حَانَتْ سَاعَةُ الصِّفْرِ عِنْدَمَا تَرَجَّلَ المَلِكُ مِنْ فَوْقِ مِنَصَّتِهِ، وَمَشَى وَئِيْدَاً رَافِعَ الرَّأْسِ تِجَاهَ عَبْدِاللهِ، فَأَفْسَحَ لَهُ الجُنُوْدُ الطَّرِيْقَ، وَاقْتَرَبَ مِنْ عَبْدِاللهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ تَارَةً، وَإِلى الجُمُوْعِ المُحْتَشِدَةِ تَارَةً أُخْرَى، بِكُلِّ صَلَفٍ وَكِبْرِيَاءٍ، وَأَخَذَ مِنْ كِنَانَةِ عَبْدِاللهِ سَهْماً وَوَضَعَهُ في قَوْسِهِ، ثُمَّ ابْتَعَدَ لِلوَرَاءِ قَلِيْلاً وَصَوَّبَ السَّهْمَ إلى صَدْغِ عَبْدِاللهِ، وَشَدَّ الوَتَرَ

ثُمَّ أَرْخَاهُ، وَتَرَدَّدَ لَحْظَةً، إِنَّهُ يَخْشى أَنْ يَكُونَ عَبْدُاللهِ قَدْ خَدَعَهُ فَيَفْشَلَ أَمَامَ شعْبِهِ، لكِنَّهُ تَذَكَّرَ فِعْلَ عَبْدِاللهِ وَخَطَرَهُ ضِدّ مُلْكِهِ، فَشَدَّ الوَتَرَ بِقُوَّةٍ وَصَاحَ فِي النّاس قَائِلاً: انْظُروا إلى مَصِيْرِ مَنْ يُخَالِفُ أَوَامِرِي وَيَعْصِيني، انْظُروا إلى هَذا الغُلامِ المُتَمَرِّدِ عَلَى أَمْرِ مَلِكِهِ، وَزَادَ مِنْ قُوّةِ صَوْتِهِ وَهُوَ يَقُوْلُ: «بِسْمِ الله رَبِّ هَذَا الغُلامِ». وَأَطْلَقَ السَّهْمَ فَجَاءَ السَّهْمُ في صَدْغِ عَبْدِاللهِ، وَانْبَجَسَ مِنْهُ الدَّمُ الذَكِيُّ، فَتَبَسَّمَ عَبْدُاللهِ ثُمَّ فَاضَتْ رُوْحُهُ إِلى بَارِئِهَا، لِتَلْتَقِيَ في جِنَانِ اللهِ مَعَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحيْنَ.

الثَّوْرَةُ:

وَمَا إِنْ سَمِعَ النَّاسُ مَا قَالَهُ المَلِكُ الّذي كَانَ يَدَّعي الأُلوهِيَّةَ، حَتّى تَبَيّنُوا الحَقِيْقَةَ، إِنّ المَلِكَ لَيْسَ هُوَ الرَّبُّ كَمَا يَدّعِي، لَقَدْ قَالَ بِلِسَانِهِ: بِسْمِ الله رَبِّ هَذَا الغُلامِ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، ثُمَّ صَاحُوا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: آمَنَّا بِرَبِّ هذا الغُلَامِ، وَكَفَرْنَا بِالمَلِكِ وَدَعْوَاهُ الكَاذِبَةِ، ثُمَّ هَاجُوا واضْطَرَبُوا وَهَجَمُوا عَلَى مِنَصَّةِ المَلِكِ لِيَقْتُلُوهُ، فَدَافَعَ عَنْهُ جُنُودُهُ وَحُرَّاسُهُ، وَصَدُّوا النَّاسَ الّذينَ لاَ يَحْمِلُوْنَ مَعَهُمْ أَيَّ سِلاحٍ، وَأَمَرَ المَلِكُ جُنُودَهُ بِإِلْقَاءِ القَبْضِ عَلَيْهِمْ جَمِيْعاً، لَقَدْ